

البعث وتحديات المستقبل

أيها الرفاق المناضلون^(١)

يا جماهير أمتنا العربية

تأتي هذه المناسبة في ظرف بالغ الخطورة، قلما عرفت الامة العربية مثله في تاريخ نهضتها الحديثة.

ويكاد تاريخ هذه الاعوام الثلاثين، يتضاءل أمام أهمية الحاضر الذي نعيشه وأمام حراجه. بل ان أهمية الحاضر وحراجه لتمليان الطريقة الوحيدة التي يجوز ان يعالج بها الماضي: أي أن يثبت جدارته وقيمه وجدواه بأن يعطي الجواب المقنع والنافع على الاسئلة المصيرية التي يطرحها الحاضر العربي.

فلمثل هذا اليوم توجد الحركات الثورية الاصيلية، وفيه تجد مبرر وجودها، فالحزب هو جزء من الامة، خرج من آلامها وحاجاتها، وتطلعاتها، ويبقى مرتبطاً بالامة وتاريخها ومصيرها، ويبقى وسيلة، والامة هي الغاية. فماضي الحزب لا ينفصل عن حياة الامة وحياة الثورة العربية وكل ما أصابته من نجاح أو فشل في الثلاثين سنة الاخير. كذلك فماضي الحزب لا ينفصل عن حياة مناضليه وما قدموه من عطاء وما تحملوه من تضحية ومشقة.

فكرة هذا الحزب كانت رهانا على أصالة الامة العربية وعبقريتها المبدعة، لم

(١) كلمة في السابع من نيسان عام ١٩٧٧، لمناسبة الذكرى الثلاثين لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي.

يعتبر الحزب أنه من الضروري، كما لم يكن بالامكان، ان يأتي بالصيغ الجاهزة الكاملة لما يجب ان تكون عليه الحياة في المجتمع العربي المنشود. بل أكتفى بوضع إشارات وعلامات وملامح وخطوط اساسية، تاركاً للأجيال العربية الصاعدة المناضلة أن تغني بتجربتها الحارة العميقة المتفاعلة مع الاحداث القومية والعالمية هذه المؤشرات الثورية على طريق المستقبل الفسيح المنفتح .

كذلك لم يعتبر الحزب أن من مهمته ان يأتي بنظرية كونية عالمية تستوعب تفسير التاريخ الانساني، وتحدد مستقبل البشرية، انه لو فعل ذلك - على أفترض ان ذلك مستطاع - لما كان الحزب، حزب البعث العربي الاشتراكي أي حزب الثورة العربية المعاصرة، بل ربما كان تقلص الى حلقة دراسية وعمل نظري مجرد .

اما الحزب الذي ينبثق فعلاً وبصدق من الحاجات العميقة للامة العربية، في مرحلة أنبعائها الراهنة، فانه لا يستطيع ان يأتي بما هو بعيد او غريب عن المعاناة الصادقة للامة في هذه المرحلة . وتجربة الامة في هذه المرحلة التي نشأ فيها الحزب لم تكن بعد مهيأة للشمول والاشعاع . ولكن صدق المعاناة جعل تجربة الامة - من خلال تجربة الحزب - تفصح عن استعدادها الاصيل للشمول والاشعاع، عندما أعطت جوابها وتعديلاتها الخاصة على النظريات والحركات الثورية العالمية التي كان لابد للامة في طور تحفزها للثورة، ان تحتك بها وتتفاعل معها . وهكذا فقد جاء فكر البعث ليكمل الفكر الاشتراكي لا لينقضه، وأستطاع وهو بعد في بداية طريق التجربة الثورية ان يؤدي قسطه من المساهمة على الصعيد الانساني بمجرد ان واجه مشكلات أمتة ومجتمعه، مواجهة نزيهة عميقة، بتسليطه الضوء على هاتين الحقيقتين الاساسيتين : قومية الاشتراكية وأنسانية القومية .

ولم يكن الاهتداء الى هاتين الحقيقتين اللتين ظهر أثرهما الكبير في ثورات العالم الثالث، ثم في الآونة الاخيرة على صعيد العالم المتقدم ممكناً، لولا ان سبقهما تصحيح أهم وأعمق، هو الانطلاق من الواقع الحي الذي كان يعني الانطلاق من الحرية . وان الوقفة الاصلية الصادقة لفكر الحزب مدينة بالدرجة الاولى

لروح الحرية التي أستلهمها، وان كل فكرة أصيلة ومبدعة أتى بها الحزب على امتداد مسيرته الطويلة، وان كل موقف ثوري نضالي في تاريخه، انما كان بفضل الحرية.

لقد كانت اللحظة التاريخية في حياة الثورة العربية المعاصرة هي سلامة الاختيار. ولم يكن الاختيار بسيطاً، لانه لم يكن بين نقيضين فحسب: المحافظة والثورة، اليمين واليسار، التجزئة والوحدة، الرجعية والاشتراكية، بل كان الاختيار ايضاً: بين ثورة وثورة، يسار ويسار، وحدة ووحدة، اشتراكية واشتراكية. ولم يكن بين روح ومادة، بل بين مادة مستقلة مهيمنة، ومادة تابعة من الروح وتابعة لها. والروح في تفكيرنا ليست شيئاً غيبياً ولا سحرياً يناقض منهجنا العلمي، وانما هي الوعي، وهي الارادة، والاخلاق وكل النزعات التي تشدنا الى الخير والجمال والتضحية والبطولة، وهي الايمان بالحقيقة والعدالة والحرية. وكان على الحزب التاريخي أن يقول كلمة واحدة أمام كل اختيار محير، هي الكلمة التي تنبع من الاصاله ومن تجربة الامة فتجعل الافكار المجردة مبدعة حياة وصناعة تاريخ.

وقد كان الموقف من التراث القومي أي من الاسلام وعلاقته الوثيقة بمرحلة الانبعث القومي المعاصرة، معبراً عن احدى الاختيارات الكبرى لفكر البعث الذي قام منذ البدء على تصور ثوري للتراث، فحقق في نظريته الجديدة هذه، كما حقق في مفهوم القومية وفي النظرة الى الحرية سبقاً على الحركات التي أتت قبله. وليس موضوع التراث في حزبنا اليوم، ولم يكن في الماضي، موضوع مناسبات وظروف، بل هو محور أساسي لتفكيرنا ولان هذه النقطة الاساسية لم تعط حتى الان الاهتمام الذي تستحقه، بل بقيت مجهولة من الكثيرين، كان لابد، حرصاً على المستقبل وسلامة الاتجاه، من الاشارة الصريحة الى ذلك، والتتمة على الاجيال البعثية الصاعدة.

ان هذه النظرة، وهذا الموقف من التراث الذي أعلنه قبل أربع وثلاثين سنة، لم يكن موقفاً تفسيريّاً للماضي بقدر ما كان موقفاً ثورياً من الحاضر ورؤية للمستقبل. ولقد حرصنا دوماً منذ بداية الحزب، وأنطلاقاً من حقائق نفسية معروفة، على

تجنب الثورة العربية، ما أستطعنا الى ذلك سبيلا، الامراض الخطيرة التي أصابت ثورات غيرها، فمسخت أنسانية المبادئ في بعضها، وكانت سبباً في فشل وأنهيار بعضها الآخر.

فأستلهم التجربة الخالدة في حياة الامة العربية انما يعني أستلهم الابداع والدوافع والقيم الانسانية العميقة، القيم الثورية التي لانخول الامة العربية حقوقاً وأمتيازات بقدر ما تحمل ثورتها المعاصرة مسؤولية كبرى، وواجبات عالية، نحو نفسها ونحو الانسانية. انه تأصيل لفكر الحزب وليس تراجعاً عن تقدميته ونهجه العلمي او عن سياسته تجاه حلفائه التقدميين في الداخل والخارج.

يا جماهير شعبنا العربي

أيتها الطلائع الثورية

لاقت حركة البعث منذ نشوئها الارتياح والتجاوب العميق من الجماهير العربية، لذلك فأنها تعرّضت وهي ماتزال تنتظم العدد القليل ممن كانوا يأتونها، فرداً بعد فرد، الى مقاومة شرسة وتشكيك وتجريح من فئات واسعة من السياسيين المترعمين وأعوانهم، ومن أكثرية المثقفين الذين لم يرق لهم ان يروا الثقافة تتحول الى نضال. ثم لما أصبح لها بعض الشأن والتأثير، وبدأ التفاعل بينها وبين جماهير الطلبة يتحول الى جسر يصلها بالفئات الشعبية التي تجاوبت مع الدعوة وألتقطت بغريزتها الصافية جوهر الافكار التي كانت مثار جدل وأنكار من قبل أدعياء الثقافة والفكر، تنبه لها الاستعمار وأعوانه من السياسيين والرجعيين والمتسترين بالدين، فاستعملت في محاربتها جميع الاسلحة دون تورع او شرف.

ولكن مقومات الحياة في الحركة، كانت أقوى من كل المصاعب والعقبات، وأقوى من العثرات التي كانت تصاب بها من ذاتها، ومن داخلها، والتي كانت كافية لانهاء حركة غير أصيلة، لانها كانت تستمد قوتها من الامة ومن صعود الامة واندفاع نهضتها.

لقد أمتلك الحزب حساً واقعياً جعله يحرص دوماً على أن يكون حركة ثورية نضالية تقوم على الفكر، لا مدرسة فكرية تبشر بالثورة والنضال، وهذا ما يفسر كيف

ان هذه الحركة لم تبق في منأى عن بعض أمراض المجتمع الذي تصدت لقيادته ومعالجة مشكلاته، كما انه ينبىء عن المعاناة الداخلية الممضة التي تعيشها الحركة في أعماقها، والتي يهون ويصغر أمامها كل ما يصيبها من خارجها، ولكنه قدرها الذي آمنت به وظلت امينة له. وما كان لهذا الحديث الان مجال لولا اننا نعتبر الظروف الراهنة من اقسى واصعب مامر على الامة العربية، وبالتالي فان المناسبة صالحة لكي تقال الكلمة الناصحة المغموسة بدم التجارب، لعلها تنفع الصادقين. لتجربة حزب البعث خصوصية، ان هي أهملت أو تجاهلت، فان ذلك يعرض هذه الحركة الاساسية في مسيرة الثورة العربية لكثير من التشويه والانحراف، وهذه الخصوصية التي تميز بها الحزب: هي اقتران الموضوعي فيه بالذاتي في شكل وحدة عضوية، فلا يمكن فصل أفكار الحزب القومية والاشتراكية والديمقراطية عن العملية النفسية الداخلية التي تشكل هذه الخصوصية، ولقد أصبحت افكار الحزب مشاعا للشعب العربي منذ عشرين عاماً على الاقل، ولكن أياً من القادة او الحركات لم يستطع ان يكون البديل للبعث، لانهم أخذوا الافكار كنتائج جاهزة ولم يدخلوا الى المعاناة الفكرية والنفسية والاخلاقية التي ولدتها. فالافكار قد تكون ذات قيمة وتأثير، ولكنها لاتصبح فكراً موحداً خلافاً يلد حركة حية الا بتلك المعاناة التي لاتفعل، ولا تقلد، ولا تستعار.

لقد ارتبطت حركة البعث بالجماهير الشعبية الكادحة ارتباطاً مصيرياً عميقاً متعدد الاسباب والعوامل. فبالاضافة الى القناعة العقائدية الراسخة بأن أي هدف من أهداف الثورة العربية المعاصرة لايمكن ان يتحقق الا بنضال الجماهير الواسعة، فلا التحرر من الاستعمار والصهيونية، ولا تحقيق الوحدة العربية، ولا بناء الاشتراكية يمكن ان يقوم الا على هذا النضال الجماهيري. فان ارتباط حركة البعث بالجماهير الكادحة هو الذي يحميها من عدة امراض فتاكة يفرزها مجتمعنا نتيجة للتخلف الحضاري والضعف الثقافي، وخاصة في ظل التجزئة. لان الجماهير الكادحة هي وحدها القادرة بما تمتلكه من قدرة على الصبر والصمود، وبما تمتلكه من حس نقدي أصيل، وبما تختزنه من عبقرية وأبداع، على فرض التصحيح من جهة، وعلى رفق

الحركة الثورية بادواتها الثورية من جهة ثانية .

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العربية

ثلاثون عاماً مرت من عمر الحزب ، ومن عمر الامة ، ومن عمر المناضلين ، وقد يصاب المناضل بالغرور ، او باليأس اذا لم ير الا نفسه وتاريخ نضاله . ولكنه عندما ينظر الى نفسه ونضاله كجزء من حركة أوسع منه وأبقى ، فانه عندئذ يقترب من النظرة الموضوعية ومن التوازن النفسي .

كذلك الحزب اذا حصر نظره في نفسه ، فانه يتعرض للمحاذير ذاتها ، اما اذا رجع لاصل مهمته ، ودوافع ظهوره الى الوجود ، وتذكر انه ليس الا نتاجاً لأتمته ولحظة من تاريخها ، ومحاولة للتعبير عن حاجاتها وارادتها ، وانه الفرع وهي الاصل ، فانه كذلك يحافظ على موضوعيته وتوازنه .

وفي هذا الظرف بالذات ما احرانا ان نتجنب المرضين الخطيرين : الغرور واليأس .

لايفرحنا أو يدفعنا الى التباهي ان نكون وحدنا على حق ، وان نرى الآخرين يسيرون في طريق الضلال والانحراف ، بل ان ذلك مدعاة ألم لنا ودافع الى مطالبة انفسنا بالمزيد من النضال والنتضحية ، والمزيد من الموضوعية والانفتاح والحوار مع القوى التقدمية والقومية الاخرى ، والعمل المثابر والدؤوب معها وحثها على ضرورة التنسيق ، لمواجهة الردة الرجعية ، الاستعمارية المتمثلة في «الوحدة المضادة» ، التي لاينجح في مواجهتها الا تجمع القوى الوجدوية وتضامنها الدفاعي والهجوم . ونحن نرى انه من الطبيعي في أوضاع التجزئة الراهنة ان تتعدد التجارب الثورية في المجتمع العربي وتتنوع . وننظر اليها كأنها تجربة واحدة متعددة الجوانب متكاملة الاجزاء ، وانها مكملة لتجربة الحزب لا منافسة له ، ومن واجبه ان تتكامل وتتفاعل في سبيل تعزيز وحدة النضال ونضال الوحدة ، لانه من غير الطبيعي وفي منتهى الشذوذ ان تكون هذه التجارب مغلقة بعضها على بعض فلا تستفيد أحداها من التجارب الاخرى ولا تفيدها .

ولا يوهن من عزيمتنا ان نرى مظاهر التنكر والتآمر ومحاولات العزل والحصار، فحزب البعث وجد لمثل هذه الظروف العصبية. فقد صهرته التجارب والمحن، وضرب جذوره قوة عميقة في الارض العربية، وربط مصيره بمصير الجماهير الكادحة على أمتداد الوطن العربي، وهي القوة الاكيدة، بل القوة الوحيدة صانعة التاريخ والمستقبل.

لقد نبذنا التعصب بكل أنواعه، والغرور، والاستعلاء وضيق النظرة، وضيق الافق، منذ ان اخترنا طريق البعث طريقا للثورة، فنحن، منفتحون على العالم وحضارته بل حضاراته، مقدرون حاجتنا الى الاخذ والاقتباس، ولكننا في الوقت نفسه نشعر بالقدرة وبالحاجة الى العطاء، واننا نستطيع ان نضيف الى حضارة العالم شيئا جديداً وشيئا ثميناً، وان لنا شخصيتنا القومية المميزة وهي طريقنا الى الانسانية، وان لنا خصوصيتنا وهي أسهامنا في أغناء التراث الثوري والحضاري في العالم. بل اننا نخشى التعصب ونحاربه، ولقد أصطدمننا منذ بداية الطريق بتعصب اليمين المتخلف، وتعصب اليسار المتحجر، وأضطرننا الى الدفاع عن حرية أقتناعنا وشق طريقنا الخاص بالمشقة والكفاح والايمان ضد الذين كانوا يدعون امتلاك الحقيقة وأحتكارها.

وبعد ان ثبتنا حقنا في حرية اختيار الطريق الى الثورة، وفي حرية فهم ماضيها وتراثنا، لم نعد نعتبر ان ثمة مشكلة تقوم بيننا وبين الذين يلتقون معنا في الاهداف كلها أو بعضها، ويختلفون عنا في طريق الوصول الى تلك الاهداف اذا كانوا يحترمون حرية أختيارنا وخصوصية طريقنا.

نحن لسنا ضيقي الفكر حتى نعتبر ان الثورات التي قامت منذ بداية هذا القرن ضد الاستغلال والظلم والتخلف، وشملت بلدانا واسعة وكتلا بشرية ضخمة، وهي تقيم الان أنظمة ودولا تحتل المكان الاول من حيث القوة المادية والادبية، لها التأثير الكبير في السياسة الدولية، وتقف الى جانب حرية الشعوب واستقلالها، لسنا ضيقي الفكر حتى ننكر على هذه الثورات وانظمتها وشعوبها فضلها ومكانتها، كل ما في الامر اننا اخترنا طريقنا الخاص وأيدتتنا الوقائع والتطورات التي طرأت على العالم

وعلى هذه الثورات بالذات، اذ انها أنتهت الى أقرار تعدد الطرق الموصلة الى الاشتراكية.

اننا لانساوي بين الاصدقاء والاعداء، بين الرجعيين والتقدميين، بين العملاء والذين يجتهدون في الرأي.

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العربية

ان الاعوام الثلاثين الاخيرة التي مرت على الوطن العربي مليئة بالدروس والعبر. فقد بدأت بضياح فلسطين، ولكن الهزة العنيفة التي أوقعها ذلك الحدث في الضمير العربي فجّرت العديد من المحاولات الثورية. وكان اهمها ثورة تموز في مصر التي بتفاعلها مع نضال حزب البعث في أقطار المشرق العربي، استطاعت ان ترد على الهزيمة بجملة مواقف وأنتصارات توجت بقيام دولة الوحدة بين مصر وسورية، بعد قيام دولة الاغتصاب الصهيوني بعشر سنوات، وكان تجاوب الجماهير العربية من المحيط الى الخليج مع تلك البداية الوحدوية معبرا عن الوعي التاريخي لهذه الجماهير وحسها العميق، وأدراكها ان الجواب الوحيد على الاستعمار والصهيونية، هو الوحدة.

وبدلا من ان تنمو تلك البداية وتتسع، انكمشت واعتلت وسهل على الاستعمار والصهيونية والرجعية ضربها، فظهر تخلف القيادات، وتخلف اساليبها في الحكم، وخطأ تصورهما ونقص ثقافتهما، لانها لم تعرف كيف تحافظ على تلك الوحدة الصغيرة لكي تطورها فيما بعد، في حين ان الجماهير لم تبخل بعطاء او تضحية.

لقد كان من المفروض بعد الانفصال ان تلتقي القيادات العربية لتبحث معا أسباب هذا الفشل الاول، ولكن بدلا من ذلك، أستمريت الاخطاء والاساليب الضارة والتصورات الناقصة والثقافات السطحية، وأزدادت الاوضاع سوءا وترديا، لان طبيعة التجزئة تشجع هذه النواقص والامراض، بينما من أهم فوائد الوحدة رفع المستوى القيادي العربي، ورفع مستوى التخطيط للقضية القومية.

وكانت حرب حزيران والهزيمة التي أعقبتها نتيجة منطقية لتلك الحالة من

التمزق والتناحر وضيق الافق عند الحكام العرب . وكما ان نكسة الانفصال لم تعط كل الفوائد النقدية التي كان مؤملا ان تعطيها من اجل مراجعة الاخطاء ووضع الشروط السليمة للخروج من الانفصال الى الوحدة، فسرعان ما حصل الانتقال . ولكن من الانفصال الى الانفصال، ومن صف النضال الوطني الى كراسي الحكم، دون ان يتوافر الحد الأدنى من شروط الفكر والثقافة والتجربة والممارسة للاضطلاع بمسؤوليات الحكم في تلك الظروف العصيبة . كذلك لم يترك لهزيمة حزيران ان تثير كل ما تستطيع أثارته من مراجعة ونقد ذاتي وتصحيح جذري لذلك المستوى القيادي، فكل تصحيح او تقدم او ارتقاء دون مستوى الوحدة، والعمل الوحدوي والتفكير الوحدوي، يقصر عن النجاح حتى على المستويات القطرية، ويعجز عن الاستمرار طويلا، لان الوحدة هي التي تستطيع ان تقف في وجه الاستعمار والصهيونية وتنتزع منهما كامل الحقوق العربية في فلسطين وكل أرض عربية . وفي غياب الوحدة يبقى كل استقلال مهددا، بل ملغوما بالغام كثيرة يفجرها الاستعمار في الاوقات التي يختارها .

بعد زرع الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي، لم تعد الوحدة حلماً يداعب الخيال واملا يرتجى لجمع الشمل ومضاعفة القوة، بل اصبحت تعني البقاء والدفاع عن المصير . لقد أصبحت الهدف القومي الرئيسي، وأكاد أقول: الوحيد الذي يتضمن تحقيقه تحقيق كل الاهداف الاخرى . فالوحدة هي الثورة، والثورة مطالبة لكي تثبت صدقها ان تكون ثورة الوحدة على وثنية القطريات، أي ثورة التحرير . لان كل كلام عن معركة التحرير دون وحدة هو لغوا وخداع .

لقد أدرك الاستعمار والصهيونية هذه الحقيقة أكثر من كثيرين من العرب، ولذلك فانهما يحاربان الوحدة الثورية بكل ما أوتيا من علم ووسائل وقوة، ويدعمان التجزئة الحالية التي أستبدل بمفهومها مفهوم جديد هو «القومية القطرية» الملقحة ضد الوحدة، بان تلحق بها صفة «العربية»، فهي القطرية المصرية العربية . . والسورية العربية . . الخ . وهذه القومية الجديدة هي في الواقع قومية الفئات والطبقات الحاكمة التي تبتعد عن الوحدة الحقيقية .

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العربية

لقد تأمر الاستعمار والصهيونية على أول تطبيق للوحدة في تجربة عام ١٩٥٨ وأستغلوا الثغرات والاختطاء التي ظهرت في هذا التطبيق، وأستطاعوا، مع الرجعية العربية ومن خلالها ان يضربوها ضربة ارادوها ان تكون قاصمة ونهائية وراعدة، وركزوا تأمرهم على القطر الاصغر، والاسهل تناولا، وهو سورية، لان سورية كانت قد تنازلت في سبيل الوحدة عن كل شيء، عن شخصيتها الدولية وحركتها الشعبية المتقدمة، ودورها القيادي العريق، دون ان يؤدي هذا التنازل الى أغناء الكيان الوجودي الجديد. لذلك لم يكن الانفصال مجرد عودة بسورية الى ما قبل الوحدة. بل كان وضعاً جديداً أصبحت فيه سورية على درجة من الضعف، غير قادرة معها على التغلب على المؤامرة الاستعمارية التي أوجدت لها ركائز داخل البلاد في بعض الاجهزة السياسية والعسكرية، فجعلت من الانفصال وضعاً معادياً للوحدة بشكل هجومي، محركاً لشتى النوازع والمصالح والعصبية المضادة للوحدة، كالعشائرية والعشائرية.

وعلى أثر نجاح حزب البعث في العراق في ثورته المجيدة في الرابع عشر من رمضان عام ١٩٦٣، سقط حكم الانفصال في سورية دون اية مقاومة، لكي يبقى جوهر الانفصال قائماً، وراسخاً في العهود المقبلة. ولكي تدخل سورية في دوامة ليس منها مخرج. وقد أصاب حزب البعث من جراء التطبيق المشوه لوحدة عام ١٩٥٨ ما أصاب القطر السوري من تمزق وضعف. فلم يستطع ان يسيطر على الظروف الجديدة المعقدة، ظروف أستلام السلطة في ظل التسلط العسكري عليه. وعندما تمسك بمبادئه ورفض التشويه والتزوير، أسقط بقوة السلاح.

وكان ذلك مأساة بطولية للمئات من مناضليه الذين أستشهدوا، اولاقوا ألوان العذاب في سجون القطريين المزورين، ولكن بالنسبة للحزب فقد سلمت المبادئ وانتصرت الهوية القومية الوجودية للبعث، وهذا ما أفصحت عنه بعد ذلك ثورة السابع عشر - الثلاثين من تموز في العراق بتميزها الواضح الحاسم عن الخليط

الغريب المشبوه الذي ظل يحكم سورية حتى اليوم، متحلاً أسم الحزب، والذي أسفر عن وجهه الحقيقي ودوره الضالع في التآمر على البعث وعلى القضية الفلسطينية وعلى الأمة العربية من ٢٣ شباط الى حرب حزيران الى حرب لبنان .

ان حزب البعث الذي شهد النور في ربوع سورية ونما فكراً ونضالاً في أجوائها العربية الحرة الصافية وتقاليدها القومية الوحدوية والذي ضحى بالعديد من الشهداء، ولا يزال المئات من مناضليه الصامدين يقاسون العذاب في سجون سلطة دمشق، يعرف ما لسورية عليه من حق . ولكنه في الوقت نفسه يؤمن ان مسؤولية أنقاذ سورية ليست مسؤوليته وحده، بل هي مسؤولية عربية، مسؤولية الجماهير والقوى التقدمية العربية . وان لسورية في الظروف المصيرية دوراً أساسياً نابعاً من موقعها في مواجهة العدو الصهيوني، ومن تاريخها الحديث كحاملة لمشعل الدعوة القومية الوحدوية . وقد أستفرد الاعداء الاستعماريون والصهاينة هذا القطر بشكل أدى تركيز التآمر عليه الى أن ينقلب دور سورية القومي الى عكسه، فبعد ان كانت سورية تدفع القطر المصري في طريق الوحدة، امسى النظام فيها يسهل له طريق الاستسلام والصلح مع العدو . وبعد ان كانت سورية تلتقي مع مصر على طريق مقاومة الاستعمار واحلافه، صار اللقاء في احضان الامبريالية كمقدمة للتلاقي مع الكيان الصهيوني، وأمست المقاومة الفلسطينية ومناضلو الحركة الوطنية في لبنان يموتون برصاص السلطة السورية .

لقد أنكشفت حقيقة هذا النظام للجماهير العربية داخل القطر السوري . وعلى امتداد الساحة العربية، وحكمت عليه حكمها الاخير . ولن تنفعه بعد اليوم محاولاته الخادعة للتظاهر بأدوار مضللة عن حقيقته كأداة بيد المخططات الامبريالية .

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العظيمة

ان تصورنا للمرحلة التاريخية كان دوما انها مرحلة أنبعاث وصعود بالنسبة للامة العربية وهذا يعني، ان النكسات والتراجعات وفترات الجمود والتردي ليست الا اعراضاً زائلة وفترات استثنائية عابرة، على طريق النهضة الطويل الصاعد، وانها في

أكثرها ردود فعل واعمال دفاعية من قوى التخلف المندحرة، وخطط تأمرية من اعداء الامة، الاستعماريين والصهاينة يستغلون فيها الثغرات ونقاط الضعف في حركة الثورة العربية وفي المجتمع القديم الذي لم تترسخ فيه بعد، القيم الجديدة، والثورة العربية تنمو وتتقدم بمنطق جدلي، اي انها تتفاعل وتتعامل مع الظواهر السلبية التي تعترض مسيرتها من الداخل او من الخارج، بشكل يساعد على تسريع عملية التصحيح والتكامل والتوحيد.

ان أدراك هذه الحقيقة هو الذي يميز الثوريين عن غيرهم، فالثوريون يوظفون هذه الحقيقة في تخطيطهم ويدخلونها في الحساب حتى في نضالهم اليومي. وهذا ما يفسر كيف اننا نشاهد الى جانب مظاهر التراجع والتردي، مظاهر للنمو والتقدم. فقد كانت أول ثمرة ثورية طيبة لهزيمة الخامس من حزيران، ثورة السابع عشر من تموز المجيدة في العراق التي فجرها حزب البعث العربي الاشتراكي، فكانت ثأراً للهزيمة القومية، كما كانت ثأراً ورداً حاسماً على الردة الشباطية الحزبية التي وقعت في القطر السوري.

كذلك حصلت ولادة ثورية في القطر اللبناني لم تأخذ شكل الانقلاب المفاجيء، بل التفاعل البطيء العميق مع النكسة القومية، وأخذ لبنان يوماً بعد يوم، وسنة بعد سنة، يصبح متنفس الضمير العربي الجريح، والفكر العربي الثائر، ومسرحاً للنضال الشعبي الملتزم بالعروبة والمتوجه نحو فلسطين.

وفي حين يظهر الاستعمار والصهيونية والرجعية بأنهم هم المهاجمون المبادرون، يمكن ان تظهر لنا النظرة المتعمقة الجانب الاخر من الصورة، حيث تبدو تحركات الاعداء كهجوم معاكس على ذلك التفجر في القوة العربية التي ان وضعت العراقيل في طريقها من ناحية، فاجأت العالم بسيلها الجارف يصب في ناحية أخرى.

ان الصورة التي تبدو قاتمة للوضع العربي الراهن لاتخيفنا. لاننا نؤمن بان الامة العربية في طور أنبعاث تاريخي، وان مظاهر التردي هي مؤقتة وزائلة، ويقابلها، في الوقت نفسه، مظاهر للتقدم والثورة لايحوز اهمالها او اسقاطها من

حساب المناضلين .

فما حدث في لبنان ، ليس في النتيجة ، سوى مظهر من مظاهر التقدم على طريق الثورة العربية لانه بلور قضية الصراع العربي الصهيوني ، وقضية الثورة العربية في لبنان . لقد كرسنا الاحداث الاخيرة عروبة لبنان ، كما كرسنا شعبنا في لبنان اداة فعالة من ادوات الثورة العربية ، ولابد للجماهير التي سارت وراء القيادات الانعزالية ان تكتشف خديعتها الكبرى عندما تسقط المؤامرة ويعود لهذا القطر المناضل وجهه العربي .

وما الانتفاضة الشعبية الشاملة التي حدثت في مصر ، في الاونة الاخيرة ، سوى مظهر آخر من مظاهر التقدم على طريق الثورة العربية لان شعبنا العربي في مصر أستعاد دوره الاجتماعي والوطني والوحدوي ، رغم الردة السياسية والاقتصادية والقومية التي حدثت في هذا القطر المناضل . لقد أصبح الشعب العربي في مصر سيد نفسه ، لانه تخلص من الوصاية التي فرضت عليه سنين طويلة . وهو أذ يدرك الان العلاقة بين وضعه وبين المصير العربي ، فأنما يفعل ذلك نتيجة لمعاناته ولشعوره بالمسؤولية القومية ، وتمسكه بدور مصر العربي .

اما ما قدمته وتقدمه الجماهير الفلسطينية من تضحيات وبطولات خارقة ، في مواجهة العدو الصهيوني في الارض المحتلة ، أو في مواجهة التآمر والغدر على ارض لبنان ، ليأتي في مقدمة العوامل الايجابية التي تدعو الى التفاؤل والثقة بالمستقبل ، وان هذا المستوى من الوعي الثوري والصمود والاستبسال عند هذه الجماهير ليشكل الضمانة الاولى لاستمرار المقاومة الفلسطينية ، ولمحافظتها على دورها الثوري . وهو في الوقت ذاته نداء الى الجماهير العربية لتحمل مسؤوليتها في احباط مؤامرة التسوية الاستسلامية والتصدي للضالعين فيها .

ان الاستعمار والصهيونية يركزان هجومهما على وطننا العربي ، وبدرجة عالية من الاعداد ، بسبب عاملين هما : -

أولا - الوضع العالمي الذي يشهد الان فترة انتعاش وتفوق مؤقت للانظمة الرأسمالية الاستعمارية بزعامة الولايات المتحدة الاميركية والذي يعبر عنه بالتفوق

التكنولوجي ، وبأساليب التآمر.

الثاني - أهمية الوطن العربي الاستراتيجية وأهمية الثروات النفطية الموجودة فيه ، وإدراك الاستعمار والصهيونية لامكانات التقدم والثورة الكامنة في الامة العربية .
ان المخطط الاستعماري الصهيوني ، أستباق لهذا التقدم المحتوم على المدى البعيد بقصد عرقلة سيره وتأخيريه ، والامر الذي يلاحظ بسهولة ، ان الاستعمار قد طور اساليبه تطويراً كبيراً ، بينما ظلت الثورة العربية في حالة تجمد او انكفاء ، مما أتاح للاستعمار ان ينازلها في الساحات والاقوات والاساليب التي يختارها هو .
المطلوب ، هو ان يصبح اختيار الساحة والوقت والاسلوب بيد الثورة ، وهذا يتطلب توافر عاملين :

١ - النضال الجماهيري الواسع .

٢ - النضال العربي الموحد الذي يشمل الوطن العربي ، او معظم ساحاته .
وهذا العاملان ، يضمنان دوماً ، الرجحان والتفوق للثورة العربية على أعدائها ، فلا النضال القطري قادر أن يتكافأ مع قوى الاعداء ، ولا الوحدة بدون نضال تستطيع أن تغير شيئاً في ميزان القوى ، ولا الاستسلام الى ظاهرة التطور السلمي والانخداع بنتائجها المحدودة والسطحية ، كفيل بأن يبعد عنا الاعداء ، أو ان يوصل الى تحقيق الاهداف .

ان مهمة التصحيح والقضاء على مظاهر التردّي ، هي مهمة الاحزاب والحركات الثورية في الوطن العربي ، وفي مقدمتها حزبنا الذي تصدى لهذه المظاهر منذ نشأته ، وهي كذلك مهمة الانظمة العربية التقدمية ، بل ان مقياس تقدميتها ، يجب ان يخسب على هذا الاساس ، وهي ايضا مهمة الجماهير العربية التي أزداد وعيها ، ونضجت تجربتها ، واثبتت قدرتها النضالية خلال حرب تشرين ، وخلال الحرب اللبنانية ، وخلال الهبة الجماهيرية في مصر ، وخلال مقاومتها للنظام السوري ، وخلال عطائها الفذ والرائع للثورة الفلسطينية .

ان نجاح هذه المهمة ، يتوقف آخر الامر ، على مدى وعي الثورة العربية لذاتها وللظروف والقوى المحيطة بها . كما يتوقف على النتيجة العملية لهذا الوعي : وهي

قدرة الثورة على السيطرة على الظروف والتخطيط للمستقبل المستوعب تخطيط الاعداء ، فالثورة هي دوما مهاجمة ، بمعنى انها تفهم المستقبل وتسهم الى حد ما في خلقه ، فتقدر ما يحتوي عليه من إمكانات مساعدة او معوقات ، وتعمل وتتصرف بشكل يمكنها من استغلال الامكانات المساعدة ، وأتقاء المعوقات او تذليلها والتغلب عليها .

واذا كان الحزب قد اعتبر دوما الوحدة مرادفة للثورة ، فلأن الوحدة تتيح ، حتى قبل ان تتحقق ، أسلوبا في التفكير ومستوى في التخطيط ، وغنى في إمكانات النضال ووسائل المواجهة ، مما لا يتيح أي منطلق آخر .

وسوف يبقى أعداء الثورة العربية ، الاستعمار والصهيونية والرجعية في موقع الدفاع ورد الفعل ، حتى لو استطاعوا ، أحيانا ، ان يتفوقوا في وضع الخطط الهجومية واخذ المبادرة لصالحهم ، فالثورة بالاضافة الى كل الوسائل والقوى التي تستطيع تعبئتها في الحاضر ، انما تستند ايضا الى قوتين صاعدتين غنيتين بالمفاجآت : قوة التاريخ العربي ، وقوة التاريخ الانساني ، التاريخ العربي في تقدم ، وكذلك التاريخ الانساني ، ونحن في مرحلة توافق وأنسجام كبيرين بين هاتين القوتين .

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العظيمة

ان من المظاهر المهمة التي تميز المرحلة التاريخية ، التي هي مرحلة أنبعاث وصعود بالنسبة للامة العربية ، ظهور المقاومة الفلسطينية المسلحة قبل اثني عشرة سنة ، كردّ على تهرب الانظمة العربية من معركة تحرير فلسطين وأرتدادها عن طريق الوحدة ، طريق التحرير ، ولقد كان في تكوينها عنصران ، سلبي وإيجابي : اما السلبي ، فهو قطري ضيق ورد فعل على الانظمة العربية التي كانت تتعامل مع قضية فلسطين تعاملًا قطرياً سلطوياً استغلالياً ، فكان جواب المقاومة على ذلك : قطرية بقطرية ، وأستغلال باستغلال ، اي انها تحاول ان تستفيد من كل الانظمة دون تفريق بين رجعي وتقدمي ، كما انها جعلت هدفها امتلاك السلطة هي ايضا . اي الحصول على دولة فلسطينية .

وأما العنصر الايجابي فيها فهو العنصر الثوري الذي يلتقي مع الثورة العربية، وأهدافها التحررية التقدمية الوجدوية، لانها تنازل الاستعمار والصهيونية في الساحة العربية المركزية التي هي فلسطين المحتلة، وبأسلوب الكفاح المسلح والعمل الفدائي، وهو أرقى اسلوب في المواجهة الثورية.

وقد أستعملت قيادة المقاومة هذين العنصرين، محتفظة بالتوازن بينهما حيناً، ومرجحة الاول، القطري السياسي على الثاني حيناً آخر. وهذا الترجيح للجانب القطري السياسي، هو الذي يهدد بالخطر الاكيد ثورية المقاومة وأمكانية استمرارها. وهناك خلط وعدم تمييز بين القطرية والهوية الفلسطينية، فالهوية الفلسطينية هوية قومية ايجابية مشروعة، تطل بها الثورة العربية على العالم كخلاصة للقضية العربية في صراعها مع الاستعمار والصهيونية، وتكسب من خلالها التأييد العالمي. ولكن العالم الغربي المتحالف مع الصهيونية يحاول ان يجعل لهذا التأييد ثمناً باهظاً وتثبيت قطرية الفلسطينيين، ومحاصرتهم فيها وعزلهم أو أبعادهم عن العلاقة المصرية بالثورة العربية.

فناعتنا ان الواقع العربي ومنطق الثورة العربية يحتمان وجود المقاومة الفلسطينية، كضرورة تاريخية، ويعملان على أرجاعها الى دورها الثوري الطليعي كلما أبتعدت عنه تحت ضغط الظروف القاسية التي تحيطها بها أنظمة التسوية، او نتيجة تراجع الوعي الثوري عند بعض قياداتها.

ان الحقيقة الموضوعية التي تقرر ان قضية فلسطين هي القضية المركزية في الثورة العربية، ترتب على المقاومة الفلسطينية واجبات ومسؤوليات، كما تعطىها حقوقاً ودوراً طليعياً بارزاً. فكما ان الثورة العربية مسؤولة عن حماية المقاومة ورفدها بالعطاء النضالي المستمر، كذلك فالمقاومة مطالبة بان تبقي قضية فلسطين في مستواها التاريخي، الذي هو مستوى الامة العربية ونهضتها المعاصرة، وان يكون التعبير العملي عن ذلك مزيداً من الاقتراب والاندماج مع نضال الجماهير العربية الكادحة في سبيل اهدافها القومية.

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العظيمة

ان هذه التجربة التي يقودها حزبنا في العراق منذ ثورة السابع عشر من تموز، هي تجربة حزب البعث العربي الاشتراكي كله، بفروعه ومنظماته القومية في كل مكان. وتجربة البعث كله بماضيه وحاضره، وقاعدة لانطلاقه الى المستقبل بكل آماله وأهدافه القومية ومبادئه الاخلاقية والانسانية، بل نستطيع القول بانها لم تعد تنحصر في حزب البعث، فهي ايضا تجربة القوى الوطنية والتقدمية في العراق وفي الوطن العربي، وانها بأنجازاتها الكبيرة، وبالنسبة الى ظروف الواقع العربي وأمكاناته، تقدم نوعي في مسيرة الثورة العربية.

ان ما قدمه الشهداء من دماء عطرة، وما تحملته أجيال من مناضلي الحزب من الالام والمتاعب ليهون أمام هذه الحقيقة المشرقة: وهي أن البعث العربي الاشتراكي يقف اليوم في ظرف تاريخي مصيري، وعلى أرض قطر بأهمية العراق العربية والدولية، ليمثل مرة أخرى أرادة الامة العربية في الصمود، وتمسكها بحقوقها ومبادئها وسلامة مستقبلها دون تراجع ولا تفريط، ولكي تبقى راية النضال العربي مرفوعة ومشعل المبادئ مضيئا ومشعا. وهذا الشرف الذي يؤول الى حزب البعث ان هو الا ثمرة ايمان الحزب بوغي الجماهير الشعبية، وروحها النضالية الغنية المتجددة والتي كانت لها دوما الكلمة الاخيرة.

لقد استطاع حزبنا في العراق، نتيجة لارتباطه بالجماهير الكادحة، ان يكون التجربة الحزبية الوحيدة في الوطن العربي التي ضربت جذورها في الارض ومنتظرها مستقبل مديد. لقد ساعدته ظروف العراق السياسية القاسية على امتداد ربع قرن على ان يبني نفسه البناء العقائدي والنضالي المتين، وصهرته السجون والعذابات والمحن، حتى أصبح أهلا لتحمل مسؤولية الحكم، ونجاح الحكم رهن بالحفاظ على الفضائل النضالية التي أهلت الحزب لهذا الدور القومي البارز.

ولذلك فاني عندما أتحدث عن حزبنا في هذا القطر المناضل، تهزني عاطفة المحبة العميقة، ويغمرنني شعور بالاعتزاز والتقدير. فتاريخه ملحمة رائعة من

الايمان والثبات والبطولة والتضحية ، وحاضره محط لآمال المناضلين ، ومشعل يبدد الظلام الذي يسود المنطقة .

ان الجماهير العربية الكادحة في ارجاء الوطن العربي ، وهي تعيش ظروف الردة الرجعية الاستعمارية ، وترى ابعاد المؤامرة التي تحاك ضد العراق محط آمال المناضلين العرب واحرار العالم الثالث ، لخنق صوته المعبر عن آلامها وتطلعاتها وارادة الصمود فيها ، تحيط الحكم الثوري في العراق بكل دعمها وتأييدها .

ان الطاقات النضالية التي يزخر بها هذا القطر المناضل ، عماله وفلاحوه ونساؤه وجيشه الباسل ، ومناضلوه في الجيش الشعبي ، وشبيبته التي جعلت عيدها مقترنا بعيد تأسيس حزب الثورة العربية ، وطلائعه الطلابية ومثقفوه الثوريون ، وقواه الوطنية والقومية التقدمية المتحالفة . . ان هذه الطاقات الثورية ، طاقات جماهيرنا المناضلة في هذا القطر مع جماهير أمتنا العربية كفيلة برد التآمر على القوى الصامدة في الوطن العربي وعلى ثورتها في العراق . وكلما ازداد اعتماد القوى العربية على الجماهير وانطلقت من اطرها التقليدية الى مجال العمل القومي الخصب الفسيح على امتداد الارض العربية ، في جبهة قومية تقدمية واسعة ، كلما سارعت في نقل حركة الثورة العربية من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ، والانقضاض على بؤر التخالف والاستسلام والتآمر في الساحة العربية ، التي تشكل قوى الثورة المضادة والتي تحاول عبثاً ان تعترض مسيرة النهضة العربية وخطها الصاعد التاريخي .

يا جماهير أمتنا العظيمة

أيها الرفاق المناضلون

لقد حمل حزبكم امانة تاريخية ، هي أمانة النهوض بالامة وتحقيق وحدتها وتحرير أرضها المغتصبة .

وإنه لشرف عظيم ان تتناقل الاجيال العربية المناضلة تلك الامانة ، كالراية في المعركة ، حتى يرتفع علم الدولة العربية الواحدة ، علم الوحدة والحرية والاشتراكية . وإن ايماننا العميق بأمتنا ، وثقتنا اللامحدودة بطاقات جماهيرنا المناضلة يمداننا في هذا الظرف المصيري الذي تمر فيه الذكرى الثلاثون لتأسيس حزبنا ، حزب الثورة

العربية، بالقوة والتصميم على الصمود امام كل التحديات التي تواجهها أمتنا، لنصون كرامتها، ونحقق ارادتها، ونؤدي الامانة التي نحملها بصدق وشرف ورجولة. تحية الى شهداء حزبنا الابرار، والى شهداء الامة العربية في كل مكان من الارض العربية.

تحية الى جميع الذين كان لهم شرف المساهمة في بناء هذا الحزب، وفي نضاله، وفي تحقيق انتصاراته والذود عنه في المحن والملمات.

تحية الى رفاقنا الذين يربضون في المعتقلات والسجون على أمتداد الساحة العربية، وبخاصة سجون حكام دمشق.

تحية الى رفاقنا الابطال الذين قاتلوا واستبسلوا وقدموا أغلى التضحيات دفاعاً عن شرف العروبة في لبنان. والذين ما زالوا يتصدون للمؤامرة الصهيونية الرجعية على جنوب لبنان.

تحية الى جماهير شعبنا الصامدة في الوطن المحتل.

تحية الى قوى الصمود والثورة في الوطن العربي.

تحية الى جماهير شعبنا في الوطن العربي وفي المهاجر.

تحية الى حلفاء الحزب من القوى الوطنية والقومية التقدمية، العاملة معه على تحقيق أهدافه الثورية.

تحية الى الحركات التقدمية وحركات التحرر الصديقة في العالم.

تحية الى الاجيال العربية الشابة الصاعدة، التي تحمل مشعل المستقبل العربي، والى شببتنا في هذا القطر في عيدها اليوم.

تحية حب وتقدير الى جماهير أمتنا العربية وعهد على المضي في طريق النضال لتحقيق أهدافنا القومية.